أيديولوجية الصورة النمطية للآخر فى الأدبين العربي والعبري

أ.د.أحمد كامل راوى

فى حالات الصراع بين شعبين يسعى كل جانب إلى الحط من قدر الطرف الآخر ورسم صورة مشوهة له، بل والبحث بعدسة مكبرة عن عيوبه أو العيوب التى يلصقها به والتركيز على التناقضات الاجتماعية والدينية والثقافية لديه،كما يعمل على شيطنة صورته وإبراز التباينات الجوهرية بين الطرفين فى كل مناحى الحياة، وذلك لسببين: الأول تبرير سعيه لتدمير الآخر، ومحاربته والقضاء عليه. والثانى رفع الحالة المعنوية للذات، وتحويل الصراع إلى صراع قومى وواجب مقدس.

لقد لعب الصراع العربى الإسرائيلى دورا مهما فى تشكيل صورة نمطية للآخر. ففى الأدب العبرى تطورت صورة الشخصية العربية فى كل مرحلة من مراحل الصراع، حيث أضيفت أبعاد جديدة لها لم تكن موجودة من قبل. فقد تطورت هذه الصورة النمطية وفقا لتطور مراحل الصراع، وارتسمت بفعل أيديولوجية الصراع. ومهما برزت دعاوى التعايش وقبول الآخر، وتأثر بها بعض أدباء العبرية فإن أدلجة صورة العدو العربى، وتقديمه فى صورة نمطية تبقى راسخة فى الذهنية الإسرائيلية.

ينطبق نفس الأمر على صورة اليهودى المقدمة فى الأدب العربى، والتى تأثرت بالصراع العربى الإسرائيلى ومراحله الطويلة، وتأثرت بدعاوى الصهيونية التى منذ ظهورها ومحاولاتها اغتصاب أرض فلسطين العربية، ونجاحها فى إقامة دولة على جزء لا يتجزأ من الأرض العربية، بدأت ترتسم صورة نمطية للصهيونى انسحبت بدورها على صورة اليهودى المقدمة فى الأدب العربى.

أولا: صورة الآخر فى الأدب العبرى والعربى قبل قيام إسرائيل.

أ.صورة العربى فى الأدب العبرى قبل قيام إسرائيل.

فى البداية لم يفكر واحد من زعماء الصهيونية الأوائل فى العرب ورفعوا شعار "فلسطين أرض بلا شعب". وفى تقديرنا أنه حتى الذين ليسوا عرباً ولا صهيونيين بالطبع سيتعذر عليهم القبول بفكرة الفراغ هذه، والحقيقة كما نراها هى أن التراث الاستعمارى الأوربى قد أوجد القاعدة الفكرية لهذا التصور؛ إذ استباح الأوطان دون أن يقيم لسكانها وزناً أخلاقياً أو إنسانياً أو حتى عضوياً. ولأن الصهيونية حركة استعمارية فقد ورثت هذه الاستباحة دون أن ترى فيها غضاضة أخلاقية إنسانية.

فيما بعد عندما أدرك المفكرون الصهيونيون أنهم لا يمكن أن يتجاهلوا العرب إلى الأبد لجأوا إلى تصوير العرب على النحو الذى يبرر المشروع الصهيونى أخلاقيا وتاريخيا وحضاريا؛ حيث نظر الزعماء الصهاينة إلى العربى على أنه متخلف ويمثل التدنى الحضارى لأنه ينتمى إلى الشرق، على عكس اليهودى الذى يمثل التقدم والتفوق الحضارى لأنه ينتمى إلى الغرب. ويتضح هذا من كلام هرتسل (الزعيم السياسى للحركة الصهيونية) عندما حاول إقناع الدول الأوربية بإنشاء دولة يهودية فى فلسطين فقال لهم:" إن هذه الدولة سوف تكون حائطا أسيويا للدفاع عن أوربا، وحصنا منيعا للحضارة ضد الهمجية الشرقية التى يمثلها بطبيعة الحال العرب".(١)"

أدى انتقال اليهود من أوربا إلى فلسطين واختلاطهم بالعرب إلى ظهور الشخصية العربية فى الأدب العبرى. فكتبت الكثير من القصص عن العرب ومن أهمها "لطيفة"١٩٠٦ وهى واحدة من أبرز أعمال الأديب موشيه سميلانسكى. ورواية "ثكل وفشل" ١٩١٤ والتى تفوح منها رائحة الكراهية تجاه العرب. وقد سيطر على الأدباء الاتجاه العدائى للشخصية العربية وصوروه عدوانى يكره اليهود ويرفضهم، وأى محاولة من قبل اليهودى للتقرب من العربى لإقامة علاقات إنسانية معه فإنها تبوء بالفشل الذريع، وهذا ما

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

نراه فى رواية " أيام وليالى" ١٩٢٦ للأديب نتان بيسطربيتسكى (٢)

مما لاشك فيه أن المصادمات العنيفة التى وقعت بين العرب واليهود فى هذه الفترة جعلت الأدباء يدركون الرفض العربى لليهود الذين قدموا لاغتصاب فلسطين العربية فرجح الأدباء الاتجاه العدائى تجاه العربى فى رواياتهم. والملاحظ أنهم جميعاً صوروا العربى على أنه شخصية بدوى أو فلاح بسيط يتسم بالبلاهة، والحماقة وعلى قدر كبير من التخلف والانحطاط، وصوروا عادات وتقاليد المجتمع العربى على أنها درب من دروب الخرافة والأساطير.

ب- صورة اليهودى فى الأدب العربى قبل قيام إسرائيل.

مع انتشار أفكار المساواة والديمقراطية فى العالم العربى وخاصة بعد ظهور النازية وقف بعض المثقفين العرب مسلمين ومسيحين إلى جانب اليهود. وقف أدباء مصريون مسلمون أكثر من مرة إلى جانب اليهود، ومن هؤلاء أحمد زكى أبوشادى وذلك فى العديد من مقالاتهم واستنكروا الصفات السلبية فى الأدب العالمى مثل شيلوك فى مسرحية تاجر البندقية لشكسبير.

يحاول الأديب المصرى ابراهيم عبد القادر المازنى فى روايته "إبراهيم" ١٩٣١ تصوير اليهودى كما عرفه فى مصر، فالطبيب اليهودى القرائى أفريم طبيب جيد والممرضة يهودية. وتكشف الرواية عن الانقسام الطائفى لدى اليهود قرائيين وربانيين. كما كتب العقاد رواية "سارة" ١٩٣٨. و يصور نجيب محفوظ فى رواية "زقاق المدق" (١٩٤٧) اليهود بإيجابية ويرى أن لديهم حافز للخروج للعمل وكسر التقاليد المتوارثة مما يدفع الفتيات المصريات لتقليد الفتيات اليهوديات.

على الجانب الآخر نجد أن هناك شعراء تأثروا بالقومية والوقوف ضد الصهيونية فمنذ الأحداث الدامية فى القدس ١٩٢٠ وبدأ الصراع يأخذ طابعا حادا وانتقل من الصحافة إلى الأدب، وهاجم الشعراء الصهيونية ووعد بلفور ودعا الشعر إلى وحدة العمل العربى ومجد كفاح العرب، كما دعا إلى التضحية والمحافظة على الأرض، وندد بالهجرة اليهودية. وصور الشعر اليهود كرعاع جاءوا ليسلبوا الأرض المقدسة وليدنسوا البلاد والأماكن المقدسة وصور اليهودى خائن،مرابى، بخيل، جبان، ذليل. وظهر هذا فى قصيدة الشاعر المصرى محمد رجب البيومى "فلسطين الباكية". وقصيدة إبراهام طوقان "إلى بائعى الوطن"(٣)

كما ظهرت مجموعة من القصص كتبها الفلسطينيون ظهرت فيها شخصيات يهودية منها قصة "الوريث" للكاتب خليل بيدس من الناصرة، وقصة الكاتبة نجاة صدقى "شمعون بوزجلو" ١٩٤٧. وفى المقابل تجرأ البعض وكتب عن التسامح بين الطرفين وظهر هذا فى رواية اسحاق موسى "ذكريات ديك" ١٩٤٣ وهى رواية تدعو إلى التسامح والتعاون بدلا من استخدام القوة.

وهكذا نجد أن الصورة تطورت من الإيجابية ثم الاضطراب بعد وعد بلفور والهجرات والمصادمات وظهر الجانب الإيجابى والسلبى.

ثانيا : صورة الآخر فى الأدب العبرى والعربى بعد قيام إسرائيل.

أ- صورة العربي بعد حرب ١٩٤٨ وحتى حرب ١٩٦٧

اعتبرت حرب ١٩٤٨ بمثابة نقطة تحول حقيقية فى موقف الأدب العبرى تجاه العرب ؛ إذ وسيطر على أدب "جيل البلد" (الأربعينيات والخمسينيات) روح الصراع بين ممثلى الأيديولوجية الصهيونية الاشتراكية التى دعت إلى التعايش مع العرب (تعايش يراه الصهاينة عكس التعايش الذى يراه العرب) وبين ممثلى التيار الصهيونى العدوانى الذى ارتكب خلال حرب ١٩٤٨ العديد من المذابح الشهيرة ضد العرب العزل.

وإذا حاولنا رصد وجهة النظر الصهيونية للشخصية العربية فى الروايات التى كتبت فى هذه المرحلة نجد أن العربى فى نظرهم "قاتل، سفاك للدماء، جاهل، مفتقر إلى الطموح ولا أخلاق له، متزمت، فردى، اهتمامه منصب على أسرته فقط وليس على مصلحة بلده، كاذب ومبالغ وشكاك ومتخلف،لا يوثق به.، هذا بالإضافة إلى تزييف الوقائع التاريخية والتقليل من حجم البطولات العربية هذا إذا ذكرت فى رواياتهم."(٤)

وقد ظهرت القليل من الأعمال ذات نزعة أخلاقية مصطنعة وموهومة تجاه العرب فتدين الصهيونية لما ارتكبته فى حق الشعب العربى من جرائم، ومن أبرز الأدباء الذين ظهرت لديهم هذه النزعة يزهار سميلانسكى الذى يعد واحداً من أبرز الأدباء الذين وجهوا، فى بعض أعمالهم الأدبية أصابع الاتهام إلى السلطة

الصهيونية لما ارتكبته من مذابح. وتعد قصص "خربة خزعة" و"الأسير"ورواية "أيام صقلاج"من أبرز أعماله التى أعرب فيها عن المعضلة الأخلاقية التى أجبرته الحرب على الوقوف أمامها، كما عبر فيها عن تمزق مشاعره بين فكره الاشتراكى الداعى إلى التعايش مع الأخر- أى العربى -وبين إحساسه بأهمية الالتزام والانضباط ؛ لتنفيذ المشروع الصهيوني الرامى إلى تأسيس إسرائيل.

ولم يكن يزهار بمثابة الأديب الوحيد الذى عبر فى أعماله عن إحساسه بالذنب مما ارتكبته القوات الإسرائيلية من مذابح ضد العرب فهناك غيره من الأدباء مثل بنيامين تاموز، وأهارون ميجد الذى يظهر هذا الإحساس فى قصة "الكنز"

يمكننا فى هذا المجال القول إن الروايات العبرية التى تتناول العربى عند أدباء هذا الجيل كانت على صلة وثيقة بتلك الأزمة الأخلاقية التى كان يواجهها الأديب حينما كانت تضطره ظروف الحرب لطرح قلمه جانباً والتخلى عن مشاعره وأحاسيسه وارتداء السترة العسكرية.

ويمكن القول بأن هؤلاء الذين حملوا الفكر الاشتراكى قد طرحوه جانباً وكانوا أكثر إخلاصاً للفكر الصهيوني العدوانى والحركة الصهيونية؛ حيث إنهم إذا ما رأوا أن هناك تناقضاً بين الصهيونية وأى فكر أخر فإنهم يلقون هذا الفكر جانباً لخدمة الصهيونية التى جعلت منهم شعباً وحولتهم من شراذم متفرقين فى بلدان العالم إلى شعب له دولة - بعد اغتصاب الأراضى العربية - فكان من الطبيعى أن يكونوا أكثر إخلاصاً للصهيونية. ولذلك فإن الإحساس بالذنب الذى ظهر فى الروايات العبرية تجاه العرب - فى هذه المرحلة - هو إحساس زائف، إحساس الذئب الذى يفترس الحمل الوديع بحجة أنه إن لم يفترسه سيتضور جوعاً. والدليل على هذا أن كل هؤلاء شاركوا فى حرب، ١٩٤٨ وفى المذابح التى ارتكبت ضد العرب -قبل وبعد الحرب.

كما نجد أن الشخصيات العربية التى صوروها على أنها ضحية، تحمل كل الصفات السلبية المذكورة آنفاً والتى يلصقها بالعرب غيرهم من الأدباء الذين نظروا إلى العرب نظرة عدائية. فاتفقوا جميعهم على سلبية الصفات التى تلصق بالعرب.

ب- صورة الإسرائيلى بعد حرب ١٩٤٨ وحتى حرب ١٩٦٧

جاءت هزيمة العرب فى ١٩٤٨ لتسبب لهم حالة من اليأس والإحباط والاضطراب النفسى وسميت الهزيمة النكبة، وقد حل تغيير فى الأدب العربى الفلسطينى إذ اتجه الاهتمام إلى تصوير معاناة اللاجئين. وقد أدى تزايد اهتمام الأدباء والشعراء العرب فى كل البلاد العربية بقضية الصراع. وطرحت الشخصية اليهودية بعد حرب ١٩٤٨ على ثلاث محاور:

-أ. رؤية موضوعية تحاول تصوير اليهودى كما عرفه الأديب فى المجتمع الذى عاش فيه، ويظهر هذا فى رواية إحسان عبد القدوس "أنا حرة" ١٩٥٤.

-ب. رؤية إنسانية تحاول وصف الإسرائيلى وأهميته فى مقابل الإنسان العربى العادى فى حياته اليومية. ولم يصل إلى هذه الرؤية إلا نجيب محفوظ وهذه الرؤية التى لا تحمل كراهية تجاه إسرائيل تبرز فى رواية "الشحاذ" ١٩٦٥ وفى روايته التى ظهرت بعد وقت قصير من حرب أكتوبر "الحب تحت المطر" ١٩٧٣.

- ج - رؤية القوميين الذين يعربون عن كراهيتهم لإسرائيل ومن أهم أدباء هذا الاتجاه ليلى البعلبكى فى روايتها "أنا حية" ١٩٥٨ وتعبر فى الرواية عن كراهيتها لإسرائيل وللإسرائيليين. وقصة "أنا من الشرق" ١٩٦٦. وغسان كنفانى فى روايتيه "ناس فى الشمس" ١٩٦٣ ورواية "ماذا بقى لكم" ويعبر فيهما عن معاناة الفلسطينين وتشريدهم خارج فلسطين بعد أن سلب اليهود أرضهم ووطنهم.(٥)

صورة اليهودى فى هذه الفترة كانت سلبية متأثرة بحرب ١٩٤٨ والنكبة التى حدثت للفلسطينيين، وما نتج عنها من تشريد للفلسطينيين وتحولهم إلى لاجئين وسلب الصهاينة لوطنهم فتحولت صورة اليهودى إلى السلبية المطلقة نتيجة هذا الصراع.

ثالثا : صورة الآخر فى الأدب العبرى والعربى بعد حرب ١٩٦٧

أ- صورة العربى فى الأدب العبرى بعد ١٩٦٧

وعند الانتقال إلى أدب السيتينيات نجد أنه قد تكرر ظهور العربى فى الروايات العبرية فى صورة الطرف المتخلف الذى يفرض وجوده على نحو دائم على المدينة الإسرائيلية، ولم يكن العربى يلعب دور البطولة المطلقة أو الشخصية الرئيسية فى الروايات التى أنتجت فى هذه

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الفترة - أو الفترة التى سبقتها - ولكنه كان شخصية هامشية أو ثانوية تحتم وجودها وهى مناقضة لشخصية البطل اليهودى. ويقول الناقد "مناحم برى" عن روايات هذه الفترة ودور العربى فيها:" إن التوجه للعربى فى هذه الأعمال ليس هو الموضوع المركزى، إنهم يتمحورون فى موضوع مغاير كلية دون أن يمت بصلة سببية لمسألة العربى، فالشخصية المركزية فى العمل تهتم بالقضايا الشخصية النفسية وباستطاعتنا أن نخرج العربى من بعض الأعمال دون أن نؤثر على مجرى الحبكة العام. وبكلمات أخرى فإن العربى المجاور للشخصية الرئيسية والمناقض لها فى نفس الوقت، هو عبارة عن استعارة للاوعى الشخصية. وفى روايات هذه الفترة ليس الصراع مع العربى مجرد صراع فقط، ولكن الاتصال به فى الداخل هو انفجار عنيف للحياة ينجم عنه الموت أو الكارثة والدمار. والعربى فى هذه الروايات مساو لتناقضات كثيرة، هدوء وظلام وأحجية وصحراء، والعربى شهوانى وخطر من الصعب السيطرة عليه، لكن تجاهله خطر، إنه يرتبط بالفوضى والحلم والهلوسات، إنه مفاجىء ويصعب التنبؤ به، والعلاقات معه هى علاقات الحياة الحقيقية، العربى هو القسم المكبوت فى اليهودى.(٦)

ويظهر كل هذا بوضوح فى رواية " ميخائيل حبيبى" التى كتبها عاموس عوز قبل حرب ١٩٦٧، وفى رواية " نمل" ١٩٦٨ للأديب إسحاق أورباز.

والملاحظ أن العرب فى روايات هذه الفترة يظهرون من خلال تخيلات البطل اليهودى وليس لهم حضور مادى ملموس، فالعربى يمثل الخوف المرضى المكبوت والمزمن لدى الإسرائيليين من العرب ومن مواجهة حربية أخرى أكثر مرارة. فالعربى لا يظهر إلا فى شكل كابوس فى أحلام الإسرائيلى ؛ ليعكر صفو حياته فلا يتركه يعيش فى أمان، وقد وصف العرب بشكل سلبى ومشوه.

وتكشف روايات هذه الفترة عن الجهل التام بالشخصية العربية من قبل الشعب والأديب، فلا يغوص الأديب فى أعماقها، ولا يقف على جوانبها الإيجابية والإنسانية ولا حياتها الاجتماعية، فهى شخصية تظل غير معروفة للقارئ، ولا يظهر منها سوى الجانب السلبى العنيف والمهدد.

وفجرت نتائج حرب ١٩٦٧، رغم الانتصار الإسرائيلى الكبير غير المتوقع، مخاوف عظيمة فى قلوب قطاعات واسعة داخل المجتمع الإسرائيلى، وبخاصة فى دوائر المثقفين والمفكرين والأدباء. وظهر الفلسطينى بعد ١٩٦٧ فى صورة العدو الذى لا يجب أن تخدعك مظاهره الخارجية، فهو يمكن أن ينقض عليك فى أى لحظة، وساعد على ذلك تنامى حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة داخل المناطق المحتلة وظهور أكثر من منظمة فلسطينية لها نشاطاتها العسكرية فى المناطق المحتلة وفى الخارج أيضاً ". كما أكدت حرب الاستنزاف المصرية على هذا الأمر، وزادت من تعاظم المخاوف لدى المواطن الإسرائيلى من العربى والإحساس بالحصار.

ويقول الناقد إيهود بن عيزر:" مرت السنون وأصبحت إسرائيل محاصرة ومحاطة بدول معادية، كما أنها تتصارع ضد أعمال تخريبية داخل حدودها، فاستشعر الأدباء الإحساس بالحصار وعكسوه فى أعمالهم، وظهرت شخصية العربى كجزء من الكابوس الوجودى للإنسان الإسرائيلى."(٧)

ب - صورة اليهودى فى الأدب العربى بعد حرب ١٩٦٧

أصابت الحرب المباغتة التى قامت بها إسرائيل ضد الدول العربية الأدباء العرب بالذهول وراحوا يعبرون فى أدبهم عن تلك الصدمة وفقدان الثقة فى القيادات العربية. ومن أهم الأعمال التى كتبت رواية "عائد إلى حيفا" للكاتب غسان كنفانى ١٩٦٩ ومجموعته القصصية "الأيام الستة ١٩٧٠. وكتب سليمان فياض "أحزان يونيو" ١٩٦٩. وكتبت ليلى عسران رواية "عصافير الفجر". ويظهر الإسرائيلى فى هذه الحقبة فى صورة ضابط أو جندى يلقى القبض على الفدائيين ويتعامل بسلوك فظ ويسب العرب، ويحاول ان ينتزع منهم التفاصيل بالقوة. كما تظهر الفتاة الإسرائيلية فى صورة فتاة تعمل مع الجيش أو جندية ماكرة تحاول إغراء الشباب للاعتراف على الفدائيين ورجال المقاومة. كما تظل الصورة النمطية لليهودى بأنه خائن ومتآمر.

رابعا : تطور صورة الآخر فى الأدب العبرى والأدب العربى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

أ - صورة العربى فى الأدب العبرى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

ساهمت حرب أكتوبر بشكل فعال فى رسم صورة جديدة لشخصية العربى فى النتاج الروائى الذى ظهر بعد هذه الحرب. ويمكن رصد التغيرات التى طرأت

على تصوير الأدباء للشخصية العربية فى النتاج الروائى الذى ظهر بعد حرب أكتوبر (واستمرت بعد ذلك) مقارنة بالروايات التى تناولت الشخصية العربية قبل حرب أكتوبر فى النقاط التالية:

- لم يعد العربى معادلاً لجزء محدود من عقلية الشخصية الرئيسية، أى أنه لم يعد كابوساً فى أحلام وخيال الشخصية الإسرائيلية، بل أصبح واقعاً ملموساً فى الرواية وشخصية لها وجودها الفعلي، وفى بعض الأحيان ظهر العربى كبطل للعمل الروائى.
- تعمق الأدباء داخل الشخصية العربية واستبطان مكوناتها النفسية والفكرية فعكست الروايات أفراح هذه الشخصية وأتراحها، فظهر العربى كإنسان من لحم ودم له مشاعر وأحاسيس ووصف كفرد وكإنسان.
- لم يعد العربى إنساناً جباناً يهرب من ساحة القتال بل هو محارب ند للجندى الإسرائيلى، وجندى جسور يقتحم المواقع الإسرائيلية الحصينة، ويأسر الجنود الإسرائيليين.
- عرض العربى كإنسان صاحب قضية، وصاحب حق يدافع عن حقوقه ولا يتنازل عنها، ومن أهم حقوقه الأرض.
- رفض الشخصية العربية للعنف والحرب وميلها للسلام.وبخاصة بعد مبادرة السلام المصرية.
- لم يعد العربى ذلك الإنسان البدائى المتخلف والساذج الذى دأب الكتاب الإسرائيليون على إظهاره فى هذه الصورة السلبية قبل هذه الحرب، بل اكتسب صفات إنسانية إيجابية ملحوظة. فقد صار إنساناً مثقفاً هادئاً يدرك تماماً قدر نفسه، ويعرف بالضبط ما هى قضيته، ويتصرف بحكمة واقتدار. وهنا لا نستطيع أن ننكر فضل حرب أكتوبر التى غيرت مفاهيم عديدة عن العرب لدى الأدباء الإسرائيليين. لقد فرضت عليهم احترام العربى وذكر إيجابياته وصفاته الحسنة، ولا يعنى هذا تخلى الأدباء عن الصفات السلبية التى ألصقوها بالعربى، بل إننا نجد فى الروايات التى تناولت الشخصية العربية بعد أكتوبر ١٩٧٣ وبعد السلام وبعد الانتفاضة نفس الصفات السلبية فلم يتخل الأدباء عنها.

ونستطيع أن نلمس هذه التغيرات فى رواية "العاشق" ١٩٧٧ للأديب أ. ب. يهوشواع، وكذلك فى رواية "الطريق إلى عين حارود" للأديب عاموس كينان.

ويمكن ملاحظة التغيرات التى طرأت على الشخصية العربية فى النتاج الروائى من خلال الروايات التى كتبت بعد اتفاقية السلام على يد الأدباء الذين ينتمون لحركة "السلام الآن" ويؤيدون السلام وحقوق العرب، ومن أهمها رواية "ابتسامة الجدى" ١٩٨٤ للروائى دافيد جروسمان وهى أكثر الروايات أهمية فى تناولها للصراع العربى الإسرائيلى وللشخصية العربية.

ونلاحظ فى هذه الرواية عدة تغيرات مهمة طرأت فى تصوير الشخصية العربية، أهمها:

- الإعجاب بهذه الشخصية وذلك من خلال انبهار أورى اليهودى بحلمى العربى والرغبة فى البقاء معه.
- الشخصية العربية تتحلى بالصبر والعناد والثبات، وفى نفس الوقت هى شخصية جانحة للسلام تكره العنف والصراع.
- تعاون الشخصية العربية المحبة للسلام مع الشخصية اليهودية الإسرائيلية الجانحة للسلام والمتمثلة فى أورى، وانهيار القوى المعادية للعرب وللسلام، والمتمثلة فى كاتسمان.وربما يكون هذا حلم ورغبة كامنة فى نفس الأديب المعروف بأنه ينتمى لحركة "السلام الآن" الداعية للسلام مع العرب.
- الكشف عن بعض الجوانب الطبيعية فى حياة الشخصية العربية كالجانب الثقافى
- إقامة حوار طبيعى بين الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية يخلو من التهديد والقوة، حوارعلى المستوى الإنسانى - حوارات متواصلة على مدار الرواية بين أورى الإسرائيلى وحلمى العربى.

وقد سادت هذه التغيرات النتاج الروائى الذى يتناول الشخصية العربية بعد الانتفاضة. فقد كان للانتفاضة الفلسطينية أبلغ الأثر على المجتمع الإسرائيلى من مختلف المحاور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وشمل هذا الأثر المستوى الرسمى والشعبى على حد سواء.

وكان المردود الكلى للانتفاضة هو استجابة الجانب الإسرائيلى لدعوة السلام والجلوس إلى مائدة المفاوضات مع القادة الفلسطينيين، ولذا شكلت الانتفاضة منعطفاً مهماً فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى.

وإذا كانت الانتفاضة قد ألقت بظلال قاتمة على المجتمع الإسرائيلى كله، فإن تأثيرها على الأدب العبرى كان واضحاً

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وممتداً، فقد بدأ الكتاب والمفكرون يتعاملون مع الفلسطينيين ـ بعد الانتفاضة ـ باحترام أكثر مما كانت عليه الحال قبل الانتفاضة وبدأ هؤلاء الأدباء يشعرون أن الفلسطينيين وصلوا إلى مرحلة نضوج بالغة الأهمية.

وقد انعكست هذه الرؤى الجديدة تجاه الشخصية العربية فى النتاج الروائى الذى يتناول الانتفاضة وتعد رواية "تخاريف" للأديب إسحاق بن نير أول رواية فى هذا الصدد.، وتدور حول الانتفاضة ومظاهرها وانعكاساتها على المجتمع الإسرائيلى، ورد فعل هذا المجتمع عليها.

وتعرض الرواية مظاهر العنف الإسرائيلى ضد الفلسطينيين أثناء الانتفاضة وما تعرضوا له من قهر وظلم والحق أن الشخصية الفلسطينية ـ فى الرواية ـ لم تترك نفسها نهباً لسياسيات العنف والقمع والقهر التى يمارسها جنود الاحتلال، بل شارك الشباب والاطفال والنساء والشيوخ فى التصدى لها.

وإذا ما نظرنا إلى الشخصية العربية هنا نجدها تتسم بالشجاعة والإقدام، ترفض الظلم والقهر وتعلن أمام قوات الاحتلال فى جرأة رفضها له وتحديه، وتؤكد حقها فى إقامة دولة خاصة بها.

والملاحظ فى هذه الرواية هو أن النظرة إلى العربى أصبحت نظرة احترام، فقد وصل إلى مرحلة من النضوج تمكنه من فرض احترمه على الآخرين ؛ إنه جانح للسلام، ولكنه متحد للظلم ويرفض أساليب القمع والبطش، إنه يتحاور مع الجانب الآخر فى عزة ويطالب بحقوقه فى كبرياء وشجاعة. واتسمت الشخصية العربية بالثقة الشديدة بالذات، فهى تعرف قدرها وأهميتها جيدا، وتعتمد على نفسها فى صراعها مع اليهود وهذه إحدى العوامل التى تكسبها الجرأة والتحدى، رفض الظلم والتهديد العلنى للشخصية الإسرائيلية.

والملاحظ فى وصف الملامح الجسدية للشخصية العربية أن الأدباء لم يستطيعوا التخلص من الملامح النمطية التى وصف بها العربى فى الأدب العبرى عامة، حيث الشارب الكثيف الذى يعبر عن الجرأة والوحشية، والندب الكبيرة فى الوجه، والعيون التى تبعث على الرعب.

ب ـ تطور صورة اليهودى فى الأدب العربى بعد حرب ١٩٧٣

أحدثت حرب أكتوبر تطورا فى صورة الآخر لدى الكتاب العرب، حيث حدث ثمة تغيير نتيجة للحرب وانتصار العرب. فبينما يواصل الكتاب الفلسطينيين دعمهم للصورة النمطية وللفدائين وأنشطتهم فإننا نجد أدباء مصريين مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ يعلنون أنه الآن وبعد أن انتصر العرب على إسرائيل ونجحوا فى اجتياز حاجز الخوف واستعادوا الثقة فى أنفسهم، والكرامة العربية إلى مكانتها عليهم أن يتجهوا إلى التجديد الحضارى للأمة العربية.

وظهرت تغيرات على صورة اليهودى النمطية منذ اكتوبر ١٩٧٣ وحتى الآن. ومن أهم الروايات المعاصرة التى تناولت صورة الآخر اليهودى رواية "فى قلبى أنثى عبرية" للكاتبة التونسية خولة حمدى ٢٠١٢ وتدور الرواية حول ندى فتاة مسلمة يتيمة توفى والدها واضطرت أمها للعمل فى منزل جيرانها اليهود الأغنياء الذين وفروا لها المال والمسكن وتكفلوا برعاية الفتاة الصغيرة. وبعد موت الأم نشأت الفتاة المسلمة فى ظل رعاية الأسرة اليهودية التى اعتبرتها فردا منها، واعتقدت الفتاة أنها يهودية إلا أنها فى النهاية تعود إلى الاسلام.

وتكشف أحداث الرواية عن أحداث المجتمع اليهودى فى تونس، تدور الأحداث بين جنوب تونس وجنوب لبنان أثناء احتلال إسرائيل للبنان. وهى رواية تدعو للتسامح، وتعلم إمكانية العيش رغم اختلاف الأديان. وتقوم بتوصيل رسالة مهمه للقارى.

وهناك رواية مهمة تطرح صورة الآخر اليهودى فى الأدب العربى المعاصر فهى رواية "اليهودي الحالي" للروائي اليمني علي المقري. وصدرت الرواية لأوّل مرة عام ٢٠٠٩.

يروي الكاتب اليمني "علي المقري" في هذه الرواية حكاية تبدأ في إحدى قرى اليمن، عندما تقوم فاطمة ابنة المفتى بتعليم الفتى اليهودي سالم القراءة والكتابة بالعربية، وكان يعلمها هو اللغة العبرية. فيقعان في حب بعضهما البعض، ولكنه حب محرم في ظل الخلاف بين اليهود والمسلمين، ويقرران الهرب إلى صنعاء كي يظلا معًا، ليغوصا في الحب المحظور، الذي انتصر بزواج الثنائي. ولفظ الحالي هو مصطلح يمني يستخدم للمدح، ويراد به إظهار «جمال صاحبه». وبداية عقدة الرواية عندما تلد «فاطمة» وتموت، لأنه بموتها ينكشف سرهما بأن «فاطمة» مسلمة وليست يهودية، ومصير ابنهما «سعيد»، معلق بين احتمالين بأن

ينسب إلى أبيه ويكون يهودياً بحسب الشريعة الاسلامية، أو إلى أمه فيصبح مسلماً بحسب الأعراف اليهودية.

وكما بدأت الرواية بتفاصيل دقيقة تغني الفكرة، ختمت كذلك بتفاصيل دفن «فاطمة» وسالم «اليهودي الحالي»، وفرض مقابر المسلمين واليهود إبقاء رفاتهما مجتمعتين في موضع واحد بعيدا عن مقابر المسلمين ومقابر اليهود.

وفى هذه الرواية يمزج الكاتب بين التاريخ والخيال الأدبى،حيث يطرح الأجواء العاصفة التي عاشها اليمن خلال القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر بين أتباع الديانتين اليهودية والإسلامية. وتظهر الأحداث صراع الآباء، اليهود والمسلمين، في الدين وغرام الأبناء في الحب.

ولقد عالجت الرواية موضوع الأنا – والآخر على نحو بالغ الجسارة المضمونية والتشويق التقني..

ويمكن تلخيص الدوافع وراء رسم الأدباء للآخر بهذه الصورة السلبية فى أعمالهم الأدبية، وبخاصة الأدباء الإسرائيليين للشخصية العربية، فيما يلى:

١ ـ اتباع سياسة الإسقاط:

إن الصفات السلبية التى نسبها الأدباء اليهود للشخصية العربية إنما هى صفات متأصلة فى الشخصية اليهودية أدركتها الأمم، وعكستها الآداب العالمية. فوصف اليهودى فى الآداب العالمية: "متوحشا، جبانا، خائنا، متطرفا، لصا حقيرا، قاتلا، مشعوذا، منحلا من القيم الدينية، مفترسا، مجرما، يؤدى إلى موت الأبرياء، مسمما للآبار، مسببا لانتشار الأوبئة والأمراض، مخادعا ومرابيا.(٨)

وإذا ما تتبعنا الصفات السلبية المنسوبة للشخصية العربية فى الأدب العبرى، نجدها هى نفس الصفات المتأصلة فى الشخصية اليهودية والمنعكسة فى الآداب العالمية، فإذا بالأدباء اليهود يقومون بإسقاط صفاتهم على الشخصية العربية.

أما الملامح الشيطانية التى وصفت بها الشخصية العربية فهى نفس الملامح التى وصف بها اليهودى فى الآداب العالمية. "فظهر اليهودى شيطانى الملامح له صفات جسدية كاريكاتورية كالأنف الأعوج والعينين الشريرتين والجسد المنحنى(٩). فأخذ الأدباء العبريون هذه الملامح ونسبوها للعربى.

وهكذا نجد أن الأدباء الإسرائيليين ذوى الأصل العربى قد اتبعوا سياسة الإسقاط على الشخصية العربية، فألصقوا صفاتهم وأعمالهم وملامحهم على العربى. وهدفوا من هذا الإسقاط إلى تشويه صورة العربى ونفى الصورة المقيتة عنهم ونسبتها إلى غيرهم.

٢ ـ التأثر بالصراع العربى الإسرائيلى:

أثر الصراع بين إسرائيل والعرب على تصوير شخصية الآخر فى الأدب العبرى والعربى بشكل كبير، فالنزاع الدائم والحروب المستمرة بين الطرفين جعلت الأدباء يعملون على تشويه صورة الآخر، والتدقيق فى سلبياته بعدسة مكبرة، والهدف من هذه الأمور هو معاداته ورفضه، وتبرير ضرورة القضاء عليه.

ويلعب الأدب دورا هاما فهو يعمل على رفع معنويات الشعب لمواجهة العدو، والقضاء عليه دون خوف أو تردد، والمجتمع الإسرائيلى الذى يعيش فى حالة صراع مستمر مع العرب كان فى حاجة إلى رؤية هذه الصفات السلبية للطرف المعادى، العرب، ويتطلع إليها ويقول الأديب شمعون بلاص:" فى حالة المواجهة والصراع مع الطرف الآخر تتحول شخصية الطرف الآخر فى يد الأديب إلى رمز يأتى للإجابة عن توقعات القراء، ولتأكيد الآراء السائدة والمسبقة عن الطرف الآخر فى المجتمع."(١٠)

ويقول الأديب سامى ميخائيل:" كانت صورة الآخر هو ذلك العدو الذى تعد هزيمته وكسره وتصويره فى صورة وحش مخيف بمثابة فريضة."(١١)

٣ ـ عنصرية الجنس اليهودى:

تأثر الأدباء فى تصويرهم للشخصية العربية بالمفاهيم العنصرية السائدة لدى جميع اليهود، والذين يرون أنفسهم جنسا متميزا عن باقى البشر، فهم يكرهون البشر ويحتقرونهم ويعتبرون أنفسهم الشعب المختار، ولذلك "فالصورة السلبية للعرب لدى الأدباء تعود بجذورها إلى العنصرية التى تميز فكرهم الأسود والتى تشكل فكرتا الاختيار والخلاص شقى الرحى فيها، والتى ينظرون من خلالها إلى أبناء الشعوب الأخرى باعتبارهم جنسا من الدرجة الثانية أو الثالثة لايرقى إلى مرتبتهم السامية. ومن هنا جاء استعلاء اليهود الذين هم من أصل عربى على العرب وإحساسهم بالتفوق وإلصاقهم بالشخصية العربية الصفات السلبية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والأعمال الدونية والملامح الشيطانية.

أسباب تراوح صورة الآخر بين السلبية والإيجابية.

إذا كان الأدباء قد عملوا فى كتاباتهم على تقديم صورة سلبية للآخر، فقد ظهرت الصورة الإيجابية أيضا، وكان لابد من الوقوف على أسباب هذا التراوح والعوامل التى أدت بالأدباء إلى تقديم الصورة الإيجابية، والتى نراها كما يلى:

١ - التطورات التى طرأت على الساحة السياسية.

شهدت المرحلة المعاصرة أحداثا هامة أثرت فى صورة الآخر،وبالذات نظرة المجتمع الإسرائيلى والأدب العبرى للشخصية العربية وأهم هذه الأحداث هى:.

أ - حرب أكتوبر

أدت حرب أكتوبر إلى تغيير النظرة السلبية النمطية إلى شخصية الآخر وبالذات الشخصية العربية، فلم تعد على الدوام تلك الشخصية التى تتسم بالجهل والتخلف ولا تعى ما يدور حولها، بل نظر المجتمع الإسرائيلى إليها نظرة جديدة، نظرة احترام وتقدير، حيث إن الشخصية العربية أثبتت للجميع أنها شخصية قادرة على التفكير السليم والتخطيط المتقن، وأن القيادة العربية قيادة واعية لديها من الوعى والإدراك ما يؤهلها لخوض حرب متقنة تستطيع من خلالها الانتصار على إسرائيل وتقويضها. فكان لابد من الوقوف على حقيقة هذه الشخصية واحترامها وعدم تجاهل إيجابياتها. وقد انعكس هذا على الأدب العبرى بصفة عامة فظهرت إيجابيات الشخصية العربية بجانب سلبياتها.

ب - السلام

ثم تأتى مبادرة السلام من الجانب العربى لتثبت لإسرائيل أن الشخصية العربية هى شخصية جانحة للسلام، وليست شخصية إرهابية مخربة وتتسم بالوحشية كما يدعون، بل شخصية تحمل فى طياتها السمة الإنسانية وحب الخير والسلام. ومن الجدير بالذكر أن اليهود ذوى الأصل العربى كانوا أكثر استجابة للسلام مع العرب، ويقول الكاتب شالوم كوهين:" لاحظنا أن الإسرائيليين الذين هم فى الأصل من البلدان العربية غداة زيارة السادات وعقب خطابه فى الكنيست كيف دفعوا بحملة منهم تهدف إلى إقناع الإسرائيليين ذوى الأصل الأوروبى بأن على إسرائيل أن تشجع التقارب حتى لو كان التخلى عن الأفكار القديمة المتعلقة بالحدود هو الثمن.عندما أدلى السادات الزعيم العربى الكبير بالبرهان أنه يعمل من أجل السلام، أعجبوا بتلك اللغة الجديدة وبذلوا الجهود لشرحها فى كل مكان."(١٢)

وقد انعكس هذا على الأدباء ذوى الأصل العربى، فعرضوا فى رواياتهم الجوانب الإنسانية الإيجابية التى تتسم بها الشخصية العربية. ويقول أدير كوهين عن أثر السلام فى تغيير النظرة إلى العربى:" كان الخوف من العرب ناتجا عن الحرب والصراع، وبعد إحلال السلام يزول الخوف من العربى العدو إذ يوجد أخيار وأشرار فى جميع الشعوب وفى كل الأماكن، وأظهرت مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية نظرة إنسانية وإيجابية نحو العربى وإظهاره كإنسان وليس كعدو مهدد ومخيف."(١٣)

ويقول الناقد إيهود بن عيزر عن تأثير حرب أكتوبر والسلام على نظرة الأدب العبرى عامة والأدباء ذوى الأصل العربى خاصة إلى العربى:" تغيرت شخصية العربى فى الأدب العبرى، فلم يعد السارق أو المهدد أو الكابوس المفزع للشخصية اليهودية، ولم يعد ذلك العدو المخرب، بل شخصية لها سمات إنسانية، وقد ازدادت هذه الظاهرة بصفة خاصة بعد حرب أكتوبر، وحسم الأمر بعد السلام مع مصر، فبفضل السلام تحسن الوضع - وضع الشخصية العربية - ولم يعد العربى الصورة الشيطانية الشريرة كما كانت، ونلاحظ هذا فى أعمال سامى ميخائيل، بفضل السلام علمتنا الحياة ألا ينظر كل طرف إلى الآخر بقوالب جاهزة وشيطانية."(١٤)

ج - الانتفاضة

ثم تأتى الانتفاضة لتؤكد أن الشخصية العربية تمتلك من الجرأة والشجاعة ما يجعلها تجبر الإسرائيلى على احترامها، وكان للانتفاضة تأثير قوى على الأدباء وخاصة ذوى الأصل العربى الذين نظروا إلى الشخصية العربية باحترام أكثر، ويقول الأديب أمنون شموش:" كما أن حرب أكتوبر مهدت الطريق أمام السادات ليظهر منتصب القامة فى القدس، وجلبت السلام مع مصر، فإن الانتفاضة كذلك تستطيع أن تجعل الفلسطينيين ينصبوا قاماتهم، فقد أثبتت الانتفاضة لكم ولأبناء

شعوبكم أنكم تملكون الجرأة." (١٥)

كانت لكل هذه التطورات السياسية أثارها الجمة على الأدباء ونظرتهم إلى الشخصية العربية، فعكسوا الصفات الإيجابية التى تتمتع بها تلك الشخصية، وطبيعة الأعمال المهمة التى تمارسها. ولاشك أن الأدباء هدفوا من عرض الصورة الإيجابية إلى تنبيه المجتمع الإسرائيلى بمدى وعى هذه الشخصية وحقيقتها لكى تدخل إسرائيل فى حسبانها ماهية العدو العربى وقدراته فى هذه المرحلة ويقول الناقد شمعون ليفى:" تلك هى مرحلة مهمة فى معرفة العدو ـ العربى ـ مرحلة يصور فيها بشكل أدبى متحرر من القوالب الجاهزة والآراء النمطية، مرحلة معرفة ذات الآخر وهويته." (١٦)

٣ ـ الموقف الذاتى للأديب:

فمن لقى كرما فى موطنه الأصلى فربما ينعكس على نتاجه الأدبى ومن لقى عكس ذلك يعبر عنه فى هذا النتاج ـ أى أن الحالة النفسية حين كان فى موطنه الأصلى سيكون لها أثر كبير.

٤ـ تراوح العلاقات العربية الإسرائيلية مابين الحرب والسلام

بما ينعكس بدوره على صورة الآخر ما بين السلبية والإيجابية.

ومن هنا جاء التراوح وتبوأت الصورة الإيجابية مكانتها بجانب الصورة السلبية.

ويمكن القول كذلك أن الصورة الإيجابية للشخصية العربية لا تعبر صراحة عن العرب، فهى تفتقد إلى الكثير والكثير ولازالت فى طورها الأول، حيث إنه من الصعب التخلص مباشرة من الآراء النمطية السائدة والتى من خلالها ينظر الأدب العبرى إلى الشخصية العربية.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الهوامش

١ – بوعز عفرون: الحساب القومى. ترجمة ودراسة د. محمد محمود أبوغدير.مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٥ ص٤١٠

2- בן עזר אהוד: במולדת הגעגועים המנוגדים. הערבי בספרות העברית. זמורה ביתן. ת"א. 1992 עמ"30

עוז עמוס: באור התכלת העזה. מאמרים. כתר. ירושלים, הדפסה שבעית. 1990. עמ" 160

בלס שמעון: ספרות בעמות. מפגש,המכון היהודי הערבי, ית ברל, גליון10-11 , 1988, עמ"119

3- מורה שמואל: סכסוך ערבי ישראלי בראי הספרות הערבית. הוצאת ון ליר. ירושלים1975 עמ" 26

٤ – أحمد عمر شاهين: الرواية الإسرائيلية المعاصرة. مجلة إبداع. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد الثانى، فبراير ١٩٩٥ص١٧

5 - מורה שמואל: סכסוך ערבי ישראלי בראי הספרות הערבית. עמ" 47

٦ – مناحم برى: الصراع الفلسطينى الإسرائيلى كاستعارة فى القصة والرواية الإسرائيلية المعاصرة. مجلة لقاء عدد ١٠–١١ خريف ١٩٨٨ المعهد اليهودى العربى بيت بيرل ص١٤

7 - בן עזר אהוד: במולדת הגעגועים המנוגדים. הערבי בספרות העברית. עמ"30

٨ – حول صورة اليهود فى الآداب العالمية انظر:

هانى الراهب: الشخصية الصهيونية فى الرواية الإنجليزية. منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث. بيروت ١٩٧٤

رمسيس عوض: اليهود والأدب الأمريكى المعاصر. دار الهلال. القاهرة العدد٥٧٥. ١٩٩٨

Rosenberg edgar: from shylock to svengali. Sandford university press

٩ – هانى الراهب: الفلسطينيون فى الفكر الصهيونى. ص١٦

10 - בלס שמעון: ספרות בעמות. מפגש,המכון היהודי הערבי, ית ברל, גליון10-11 , 1988, עמ"119

11 - Michael Sami: The roed to Victoria. Bulletin of the Israeli academic center in cairo. No 20 april 1997

١٢ – شالوم كوهين: إسرائيل الثانية. المشكلة السفارادية. ترجمة فؤاد جديد. مطبعة الكرمل، بيروت ١٩٨١. ص٩١

13 - כוהן אדיר: פנים מכוערות במראה, השתקפות הסכסוך היהודי ערבי בספרות הילדים העברית..רשפים. ת"א 1985, עמ" 168

14 - בן עזר אהוד: הערבי החי בקרבך. עתון77 מאי יוני 1987 עמ" 23

15 - שמוש אמנון: מכתב גלוי לידידים ערבים. מפגש,המכון היהודי הערבי, ית ברל, גליון10-11 , 1988, עמ"174

16 - לוי שמעון: שבויים בבדיון, הערבים בספרות העברית החדשה, מאזנים, כרך"ז, אוקטובר- נובמבר, 1983. עמ"73

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2